شفيق السحيمي في حوار مفتوح خص به اليسار الموحد

سر نجاح «وجع التراب» يكمن في وجود جسر نقال بين الصورة والنص

حين تستمع لشفيق السحيمي الإنسان، تشدك عفويته وتلقائيته في الحديث، تشعر وكأنك تعرفه منذ زمان. بشوش الوجه ومبتسم الملامح. تلمس في شخصيته كثيرا من الصدق وألق الطفولة البكر المفعم بسؤال الدهشة والموشوم بتواضع أصيل. يرفض أن تصنف أعماله الفنية في إطار مايسميه "La culture jetable"، أي الثقافة التي تنتهي صلاحيتها في اللحظة ذاتها التي ننتهي من استهلاكها. شخوصه الإبداعية لصيقة بالواقع الاجتماعي للإنسان المغربي، وتقترب من المتلقي وتمسه في الصميم.

درس شفيق السحيمي تاريخ الفنون بمدرسة اللوفر، كما تابع دراسته بالمعهد العالي للفنون الدرامية بباريس، حاصل على دكتوراه الدولة تخصص المسرح، ومهووس بالمجال الفني والثقافي إلى درجة العشق.

في هذا الحوار المفتوح مع شفيق السحيمي، نسأل الفنان والمثقف والإنسان، نتحدث في بعض أموره الشخصية والفنية، وعن آرائه فيما يخص بعض الأمور ذات الطابع الاجتماعي والإعلامي والسياسي بالمغرب.

○ ***بداية، لماذا أنتم مقلون في لقاءاتكم وأحاديثكم الصحفية ؟***

● - أولا، بصفتي فنانا لدي منابر إعلامية وفنية كالتلفزيون والمسرح أعبر من خلالها وعبرها عن كل ماأود قوله إبداعيا. وليس لدي أي موقف تجاه الصحافة بكل مستوياتها، بل على العكس من ذلك، أرى بأن الصحافة الجدية تلعب دورا هاما في النهوض بالمشهد الإعلامي بالمغرب، وتساهم في تنوير الرأي العام من أجل خدمة المجتمع ككل.

ثانيا، أعتقد أن الظهور أو الحديث لوسائل الإعلام يجب أن يأتي بإضافة نوعية، ويضيف أفكارا جديدة قد تساهم في بلورة نقاش فعال إن فنيا أو ثقافيا أو سياسيا يعود بالنفع على الجميع. أما الظهور من أجل الظهور فهذا أمر أتجنبه احتراما للمتلقي نفسه وانسجاما مع قناعاتي الفكرية.

○ ***يقال بأنكم كمخرج تتسمون بالصرامة، حتى لانقول الديكتاتورية، ماهو تعليقكم ؟***

● - (يضحك)... إن هؤلاء الذين ينعتونني بالدكتاتورية، هم يرددون هذا من باب تضخيم الأمور والمبالغة في الأشياء، لأنهم في واقع الأمر لم يعرفوا الديكتاتورية ولم يكتووا بنارها، وبالتالي فهم يجهلون معنى الديكتاتورية وسياقاتها التاريخية.

أحاول كمخرج أن أتحرى الدقة والضبط في كل أعمالي سواء في التلفزيون أو المسرح. أقف عند أبسط التفاصيل والجزئيات، لأن هذه التفاصيل الصغيرة هي ما يخلق الصدق في العمل. وأقوم بإدارة الممثلين كما أرى وفق منظور علمي يستند على مختلف المرجعيات لأشكال مدارس التمثيل ومناهج اللعب لدى الممثل. وإذا كنت صارما - في نظر الآخرين - فهذا يعود إلى مدى تقيدي بهذا المنظور العلمي الصارم في حد ذاته. وهناك من يفسر من خلال زاوية رؤيته الخاصة، هذه الدقة والتقيد والضبط بالصرامة، أو مبالغا بالدكتاتورية. وأعتبر أنه إذا كان ماقدم في شهر رمضان المنصرم من أعمال كانت محط انتقاد الجميع، يوصف بالديمقراطية، فأنا ديكتاتوري، وأعتز بذلك.

○ ***وهي الديكتاتورية نفسها التي أعطت مسلسل «وجع التراب» الذي يعرض حاليا بالقناة الثانية، ويعرف متابعة ملحوظة من طرف المشاهدين، وهو مايعتبر نجاحا لهذا العمل، أين يكمن في نظركم سر هذا النجاح ؟ هل في قوة النص المقتبس عن رواية «الأرض» لإميل زولا ؟ أم في شيء آخر ؟***

● - علينا أن ناخذ بعين الاعتبار أن النص له حدود، ولايمكن له أن يقدم للمشاهد أكثر ماتقدمه الصورة. كما أن الصورة لها حدود أيضا، وتعجز بدورها أن تقدم أكثر ماتقدمه الكتابة. سر النجاح يكمن إذن في وجود جسر بين الصورة والنص، وهو جسر غير دائم الثبات والاتصال، وإنما هو جسر نقال Pont-levis ينفتح ويرفع من الجهتين (بين الصورة والنص) حتى يفسح المجال لمرور مياه أخرى.

وجود مثل هذا الجسر المنفتح والثابت في آن واحد بين الكتابة والصورة هو سر نجاح مسلسل «وجع التراب».

○ ***جل أعمالك تتخذ من فضاء البادية مسرحا لها، وهناك مايدعو إلى التغيير ؟***

● أغلب الرافضين لمشاهدة أعمال تمر بالبادية، هم وافدين من البادية ولم يخرجوا منها من تلقاء أنفسهم وطواعية، بل رغما عنهم ومجبرين، إن لم نقل مطرودين بفعل الحاجة، لينتقلوا إلى المدينة كلاجئين اقتصاديين، فمن جهة هم يحقدون على البادية لأنها أقلعتهم من جذورهم، ومن جهة أخرى لايقوون على العودة إليها ويظلوا يعيشون نفسيا حالة اللارجوع بشكل عدواني ضد البادية. وعندما تتاح لهم الفرصة لمشاهدة عمل فني حول البادية، فهم يتابعونه برغبة وشوق (وبشيء من التعالي أيضا) إشباعا أو تخلصا من هذه الرغبة الدفينة واللاممكنة في الرجوع إلى (الأصل).

لدي ثقة كبيرة في نبيل بنعبدالله وأقدر المجهودات التي يقوم بها

○ ***معروف أنكم من أبناء الدار البيضاء المتجذرين، تخبرون فضاءاتها وأحياءها، العتيقة منها والحديثة، كيف تنظرون إلى هذه المدينة الآن ؟***

● الدار البيضاء أضحت الآن عبارة عن مرقد كبير بدون مركز إشعاعي حقيقي.

○ ***مادمنا نتحدث عن الهجرة، كيف تنظرون إلى ظاهرة (الحريك) المنتشرة بين فئات الشباب ؟***

● - هناك عوامل كثيرة تدفع الشباب إلى المخاطرة بحياتهم قصد الوصول إلى الضفة الأخرى، منها ماهو سوسيواقتصادي نفسي، إلا أن هناك عاملا آخر في تصوري، وهو عامل ثقافي. إذ ليس ثمة خصوصا بالمدن والقرى التي تنتشر فيها ظاهرة الهجرة السرية (الحريك) بشكل ملحوظ، مايغري الشباب للبقاء في منطقتهم، ليس هناك حركة ثقافية كشأن يومي، لاعروض مسرحية، لامسيات شعرية، لاسهرات موسيقية... إضافة إلى انعدام مرجعيات ونماذج حقيقية من داخل المجتمع يتماهى معها هؤلاء الشباب بما يوقظ فيهم شعلة الطموح والتحدي. أقول نماذج حقيقية وليس حالات معزولة خارجة عن السياق المجتمعي ككل.

○ ***كيف تقرأون المشهد السياسي والحزبي الحالي بالمغرب ؟***

● - يحتاج التدبير السياسي، في نظري إلى مشروع اجتماعي ومجتمعي حقيقي، إلى مقررين حقيقيين، وإلى مسيرين فعليين يبنون سياستهم التدبيرية على ديمقراطية اجتماعية بغض النظر عن توجهاتهم السياسوية.

إضافة إلى هذا، فأغلب الأحزاب المغربية على مختلف مرجعياتها وتوجهاتها، يسيطر عليها على مستوى القيادة أشخاص وصلوا من السن عتيه ومع ذلك مازالوا متشبثين بمناصبهم وبإقصائهم للشباب. في حين أنه لايمكن أن نتطور نحو الأفضل بنخب سياسية شائخة.

لابد إذن من إدماج الشباب ذكورا كانوا أم إناثا في الحياة السياسية وإعطاءهم الفرص للتعبير عن أفكار متجددة وطموحة، وهنا تكمن الديمقراطية الحقيقية.

○ ***حسب ماأقره وزير الاتصال نبيل بنعبد الله، تصاعد الإنتاج الوطني الفني أكثر من 5 مرات، إذ انتقل من 47 ساعة خلال سنة 2000 إلى 265 ساعة خلال شهر أكتوبر من السنة الجارية، ماهو تعليقكم ؟***

- كلمة حق تقال، لدي ثقة كاملة في شخص نبيل بنعبد الله أقدر المجهودات التي يقوم بها برفقة مسؤولين آخرين من أجل النهوض بالقطاع السمعي - البصري بالمغرب والإنتاج الوطني الفني في هذا المجال.

○ ***نلاحظ أن المسرح المغربي يعرف تراجعا منذ سنوات ماهي الأسباب في نظركم ؟***

● - أغلب مايشاهد حاليا ليس مسرحا بالمعنى الحقيقي للكلمة، المسرح هو سؤال يوضع على الواقع الحالي وعلى الموروث. وأنا أتساءل ماهي الأسئلة التي تطرح اليوم على المسرح بالمغرب.

هناك عوائق إضافية كغياب مدارس للتكوين المسرحي قائمة بذاتها، وعدد كاف من الأطر والأساتذة ذوي الاختصاص والكفاءة العلمية العالية.

○ ***أغلب المشاهدين يعتقدون بان شفيق السحيمي رجلا مسنا أو على الأقل كما ظهر في مسلسل «العين والمطفية» أوكما يظهر حاليا في «وجع التراب»، في حين أنتم مازلتم تتمتعون بحيوية وعنفوان شبابي، ألا يزعجكم هذا ؟***

● - إطلاقا، بل يفرحني ويؤكد بالملموس أنني توفقت في تقمصي لشخصية السي احمد في «وجع التراب» وفي «العين والمطفية»، وبان أدائي كان مقنعا إلى درجة الصدق.

○ ***ماذا تمثل لك الشهرة ؟***

● - الحذر وضبط السلوك.

○ ***ماذا يمثل لك كل من عبد الفتاح كليطو وهيغو شافيز في جمل مقتضبة ؟***

● - عبد الفتاح كليطو، أستاذ وباحث متميز، وقارئ جيد للتراث العربي الإسلامي.

هيغو شافيز : هو مع احمدي نجاد في مواجهة الغطرسة البوشية.

○ ***ماهي مشاريعكم المقبلة ؟***

● أقوم حاليا بالتحضير لمسلسل مقتبس عن رواية «الإخوان كرمازوف» لدوستوفسكي، وعنونته ب «تريكة البطاش». كما اتفقت مع بعض الكتاب المغاربة على إنشاء «ورشة للكتابة» تدخل في إطار البحث عن نصوص جيدة يمكن استثمارها وتحويلها إلى أعمال تلفزيونية.

■ حاوره : حسن لعوام